صورة العربي المسلم في الرؤية الغربية

الاستاذ الدكتور
ناظم عبد الواحد الجاسور(*)

تمهيد

لقد اثار نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في احدى الصحف الدنماركية، العديد من الاسئلة، واستحضرت امام المراقبين، والمحللين ايضاً العديد من الصور التي ارتسمت في الذهنية الغربية عن الانسان العربي المسلم، وارجعتها الى تلك الصور التي احتلت مساحة واسعة في الاعلام الغربي. بعد ساعات قليلة من تفجيرات نيويورك وواشنطن وكيف اعيد تشكيل الصورة في الوعي الغربي الامريكي واضحة المعالم داخل برواز كبير عن العربي المسلم: (الارهابي) (المتوحش)، و(البربري)، وثم بثها ونشرها في كل وسائل الاعلام: المقروءة والمسموعة، والمرئية، لا بل وصل الامر الى نبش (مقولات) و(افتراضات) المنظرين الغربيين الذين اكدوا على (صراع الحضارات)، وحتميته ما بين الاسلام والغرب، والذي (تجلت) صورته (الواقعية) في احداث ايلول قادتها كبريات الصحف الامريكية والاوروبية معيدة انتاج الخطاب التقليدي الغربي الذي ساد منذ عصر التنوير الذي قام اساساً على التفرقة ما بين البربرية والمدنية. هذا الخطاب الذي تردد ليس فقط على الرؤساء الحكومات والدول. وانما في المقالات العديدة لبعض من الكتاب والمثقفين الغربيين، وهي المقالات والكتابات التي ما زالت مسكونة باشباح الحروب الصليبية[١].

وقد كانت هذه الاحداث فرصة لتنشط فيها صورة مثيرة للاستغراب الدارسات والبحوث الخاصة حول الاسلام والعقيدة الاسلامية، على الرغم من ان الاهتمام بظاهرة الاسلام السياسي او (الاصولية) ترجع الى اكثر من عقدين، حيث (الصحوة الاسلامية) التي سرت في منطقة الشرق الاوسط استأثرت باهتمام المختصين من المستشرقين ومحللين سياسيين الذين تساءلوا لماذا ينفرد الاسلام عن غيره من الديانات بظاهرة العنف و(التطرف) ويأبى الاندماج في القيم الكونية للحضارة الحديثة الغربية؟

(*) عميد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

(١) السيد ياسين، بين صورة الذات ومفهوم الاخر، صحيفة الاتحاد الاماراتية، ٩٥٧٣، الخميس ٢٠ سبتمبر-٢٠٠٢، ص٣١.

وتعددت الاجابات حول هذه الاشكالية ما بين الاسلام والحضارة الغربية، حتى ان قسم منها شدد على ان (الانفصام بين الاسلام والحداثة الغربية والعلاقة المتوترة بينهما) راجع الى (عجز) المسلمين عن القيام بقراءة نقدية (لدينهم ونصوصهم المقدسة) كما فعل الغربيون مسيحيون ويهود منذ القرن السادس عشر. اذ ذهب محمد اركون (الفرنسي الجنسية-جزائري الاصل) في حواره مع صحيفة اللوموند الفرنسية في اكتوبر ٢٠٠١ الى ان عمق الاشكال راجع الى تأخر المسلمين في تطبيق المناهج النقدية الى طغيان النزعات النضالية الضيقة، التي واكبت حركات التحرر في سعيها لمحاربة الغزو الثقافي الغربي كخطر على الهوية والذات. وفي الاطار نفسه فقد ذهب المفكر الفرنسي المعروف جان دانيال في مقالته في مجلة النوفيل او بزفاتور بتاريخ اكتوبر ٢٠٠١، الى ان التحدي المطروح على الفكر الاسلامي يتمثل في القدرة على خلخلة ومراجعة المرجعية النصية، لادماج المقومين الفكريين الاساسيين للحداثة، وهما تعويض (الحق المقدس) بسيادة الفرد الحر مما يفسح المجال امام قيام ديمقراطية تعددية حقيقية ولتجسيد المفهوم الفعلي للمواطنة والمساواة، واستيعاب الاثار المجتمعية للحضارة الصناعية من انهيار قيم العائلة الابوية وتحرر المرأة وانتشار ثقافة الاستهلاك والانفصال عن اسس التقاليد والعادات وبالتالي تجذر حرية الفرد. ومن خلال ذلك يمكن تحقق (مصالحة بين الاسلام والحضارة الغربية)[٢].

وقد سبق ان اصدر مارشال هودجسون في عام ١٩٧٢ كتاب: ((مغامرة السلام، الوعي والتاريخ في حضارة عالمية)) اكد فيه بأنه ((يعاني المسلمون، ورغم تلك الحضارة العالمية من ازمة ثقافية طاحنة نتيجة ما يعونه من افتراق بين الامكانات الهائلة في التاريخ والمعنى والموقع من جهة، وما يشهدونه من تضاؤل للدور الذي انفسهم وامام العالم. ويذهب اوليفيه روا وجيل كيبل في طروحاتهم التي ظهرت في عقد التسعينات من القرن العشرين، حيث فشل الاسلام السياسي في التسعينات واستحالة على ذلك بلجوء فئات هامشية منه للعنف[٣].

السياسة المتعددة الاهداف

وفي الواقع، فان هذه النظرة المسبقة المخزونة في الوعي الغربي والتي غذتها القوة المعادية للأمة العربية باستمرار، وابرزت جوانبها السلبية و(ازمتها الثقافية) التي تعاني منها على حد تحديد الأستاذ رضوان السيد، فقد وفرت احداث ايلول الفرصة للبعض في الغرب لعرض الهجوم على انه (تعبير دموي) عن (صراع حضاري) قد

---

(2) نقلاً عن السيد ولد اباه، حوادث الاسلام والحضارة الحديثة، صحيفة الاتحاد الاماراتية، العدد ٩٦٦٣ السبت ٢٠ اكتوبر ٢٠٠١، ص٣٠.

(3) نقلاً عن رضوان السيد، المسألة الحضارية.. الصراع والحوار المتواصل، صحيفة الاتحاد الاماراتية، العدد ٩٦٦٢، الثلاثاء، ١٨ ديسمبر ٢٠٠١، ص٣٠.

ربية، حتى
ة المتوتر
م المقدسة
عمد اركو
سية في
يق المناه
في سعيه
ع فقد ذه
ر بتاريخ
القدرة على
حداثة، وه
ديمقراطي
المجتمع
نتشار ثقا
الفرد. وم

: ((مغامر
لمون، ورق
ن الامكانا
للدور ام
ظهرت في
نات واستد

والتي غذت
الثقافية) الت
لول الفرص
ضاري) قب

، العدد ٢٠٣
الاماراتية، ا

غير قابل للحل عن طريق الحوار والتحليل بل يجب ان يقاوم ويقمع بالعنف. فقد سرى في الاوساط الامريكية بالتحديد والاوروبية (شعور مناهض للعرب والاسلام)، ادى الى تقفز مقولة (صراع الحضارات) الى واجهة الاحداث(*)، وتفرض نفسها على مؤسسات صنع القرار السياسي، لا بل ان هناك اوساطاً امريكية طالبت بانتهاج سياسة تهدف الى اهداف اربعة:

١. توسيع دائرة المواجهة في الشرق، وقمع كل المنظمات والدول التي تمارس او تدعم الارهاب دون تحديد ماهية الارهاب.
٢. التدرج في وضع الاسلام نفسه في قفص الاتهام، والايحاء ثم التصريح، بأنه دين انعزالي يدعو الى العنف، غير مقتبل للآخر، وان الارهاب هو نتيجة منطقية للنظرة الدينية الاسلامية.
٣. التصعيد في الهجوم على الانظمة العربية الحاكمة الصديقة لامريكا، وتحميلها مسؤولية الارهاب لسياساتها غير المنفتحة ولاستشراء الفساد فيها ولتساهلها في ملاحقة المعارضة الدينية التي تمادت ووجهت ضرباتها لامريكا.
٤. التقليص من الحقوق المدنية للعرب والمسلمين في امريكا، وعلى الاخص اولئك الذين لا يمتلكون الجنسية الامريكية(٤).

وعلى ضوء هذه السياسة التي افضت على المستوى الداخلي انشاء وزارة الامن الداخلي الامريكي، كما ان السلطات الامنية قد اعطيت صلاحيات اكبر ترصد المشتبه بهم لم تكن تتمتع بها من قبل، واجاز الكونغرس قانون مكافحة الارهاب لعام ٢٠٠١ الذي اعطى السلطات الفيدرالية صلاحية التنصت على المحادثات الهاتفية واتخاذ الاجراءات ضد الحركات والمنظمات الاسلامية العاملة في الولايات المتحدة،

(*) يشير الاستاذ جميل مطر الى ان ظهور مفهوم النظام العالمي الجديد على لسان رئيس الولايات المتحدة جذب من المنظرين والباحثين البحث عن مضمون لهذا المفهوم ولم يكن خافياً ان المطلوب او المرغوب فيه ليتجاوز مجرد الاقرار بان نظاماً عالمياً جديداً نشأ دون تحديد واضح لدور الولايات المتحدة ومكانتها فيه، الى تقديم صيغة جديدة لنظام امبراطوري تنتقل فيه الولايات المتحدة من موقع القطب الاوحد الى موقع المركز الامبراطوري، أي موقع مناسب لكيان يتمتع بالهيمنة السياسية الشاملة وتسود العالم معتقداته الثقافية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية، ولاسيما انه توافرت له اسباب الهيمنة العسكرية، ولم يتبق له سوى خلق الظروف المناسبة لنشأة وعي كوني واحد شامل، أي فرض الاتباع الثقافي الحضاري والعلمي على مختلف شعوب واقاليم الارض، وهكذا غرست البذرة التي انبتت اطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات، من زاوية اخرى يتولى صنعها او الكشف عنها او صقلها باتقان شديد مفكرون وسياسيون من ناحية ومستشرقون من ناحية اخرى، فجاء اعلان الصدام قبل وقوعه، كمحتوى ايديولوجي يبرر جهود التحول نحو النظام الامبراطوري جديد، بمعنى اخر تفجرت او استحدث متفجرة صدامات وتحولات سياسية جديدة ولكن هذه المرة تحت عنوان صدامات حضارية. ينظر جميل مطر، حوار الحضارات... السياسي اولاً، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٥ (٣)، ٢٠٠٣، ص ٦٢-٦٣.

(٤) ريد عشي، حوار الحضارات والجالية العربية الامريكية، صحيفة الاتحاد الاماراتية، العدد ٩٦٦٣، ١٩ ديسمبر ٢٠٠١، ص٣٠.

وجه الرئيس الامريكي جورج بوش الابن رسالة، في الثامن من اكتوبر/٢٠٠١، ل
مجلس الامن الدولي ابلغه فيها انه عازم على توسيع عملياته العسكرية الى تنظيما
ارهابية ودول اخرى تأوي الارهاب او تقصر في مكافحته. والغريب ان لا مجـ
الامن الدولي ولا الامين العام للامم المتحدة علقا على هذه الرسالة الامريكية او طـ
بضرورة الالتزام بالمادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة[٥].

في الواقع يؤكد المفكر العربي هشام شرابي في معرض تعليقه على ما يقوم
الاعلام الغربي من تصوير العربي على انه متخلف وجاهل وعنيف ومتعصب، ور
صورة نمطية سلبية تحاول وسائل الاعلام الغربية على بلورتها وتعميمها عن العر
المسلمين[٦]، بأن هناك سببان لهذا التشويه: الاول هو التشويه التاريخي المعرو
والمتأصل بين الاسلام والمسيحية وفي العصر الحديث اصبح هذا الشيء فلكلوريا، ف
الجامعات والمؤسسات التعليمية يمكن مجابهته بالوثائق والادلة العلمية. والسبب الثـ
هو التشويه المقصود أي من خلال الاعلام في الخمسين سنة الماضية، من قبل وسـ
اعلام وحتى مراكز ابحاث واشخاص باحثين ومؤرخين وكتاب اوروبيين وامريكـ
يمثلون موقفاً ايديولوجيا وسياسياً مسانداً لاسرائيل، ومدافعاً عن الصهونية[٧].

ومنذ فترة طويلة وقبل احداث ١١ ايلول دأب الاعلام الامريكي الذي تق
خلفه القوى الصهيونية، على ترسيخ صورة منمطة بشعة للانسان العربي تنعته بابش
الاوصاف. وهذا التنميط هو اعتقاد بسيط ومضخم عن فئة معينة او مجتمع ما بحي
يمكن التمييز بين فرد واخر امراً مستحيلاً. وهذه الصورة تكون عادة مقياس الحـ
على الآخرين. ونتيجة من تعقيدات الحياة الراهنة اصبح من اصعب على الانسان
يكون معارفه ومداركه من خلال تجاربه الشخصية. وبهذا فانه يلجأ الى الوسـ
الاعلامية، ذات الاهداف السياسية، التي تقدم بسرعة مذهلة كماً وافراً من المعلوما
اكثر مما يحتاج اليه في حياته اليومية. وفي هذا الصدد يورد الباحث هربرت شـ
(Shillor) في كتابه (المتلاعبون بالعقول) ان الانسان الامريكي يمتص منذ مولده
بدون وعيه، سيلاً متصلاً من المعلومات حول بلاده والبلاد الاخرى، وهذا يكون ع
او يساعد في تكوين الاطار المرجعي الذي على اساسه يتم تقويم الامور المحـ

---

(5) شفيق المصري، الارهاب في ميزان القانون الدولي، مجلة شؤون الاوسط، بيروت، العدد ١٠٥، ش
٢٠٠٢، ص٤٧.

(6) حسن الحاج علي احمد، حرب افغانستان، التحول من الجيوستراتيجي، مجلة المستقبل العربي، ف
٢٧٦/٢٠٠٢.

(7) هشام شرابي، علاقتنا بامريكا سامة.. لكن هذا وضع يمكن تغييره، مجلة المستقبل العربي، بيروت، ف
٢٧٦ (١)، ٢٠٠٢، ص١٠١.

/٢٠٠١، الى ...ولذا كانت الوسائل الاعلامية تؤثر في تكوين الاطار المرجعي للافراد من خلال
الى تنظيمات ...يسمى بالدورة الاعلامية التي تهيئ الانسان ذهنياً وعاطفياً لاستقبال المعلومات ومن
ان لا مجال ...توقعه لاتخاذ السلوك المناسب، وفي كون الفرد الامريكي لا يعرف عن العالم خارج
يكية او طال... امريكا الا النزر اليسير. كما انه لا يهتم بما يجري من امور عالمية الا ما في ندر،
...هناك اسباب ودوافع الاعلام الامريكي في خلق الصور المنمطة، وخصوصاً عن
...ي ما يقوم ...العربي المسلم، حيث تتفق معظم الدراسات ان الاعلام الامريكي المتصهين هو انعكاس
...صب، ور... السياسة الخارجية الامريكية ولذا عمدت الوسائل الاعلامية الى تشويه صورة كل من
...ها عن العر... تلك السياسة او يضع نفسه في موضع صراع ايديولوجي او سياسي او
...ي المعرو... استراتيجي او غير ذلك مع الولايات المتحدة الامريكية[٩].
...فلكلوريا، ف... ولهذا فصورة العربي الفلسطيني الذي يدافع عن ارض وطنه ويقاوم الاحتلال
...والسبب الثا... الصهيوني اقترنت (بالارهاب). وان الحرب التي تشن ضده هي حرب (مبررة)
...من قبل وسا... الشرعية)، وتدخل في اطار (الدفاع عن النفس). وان كل ما يقوم به العرب من حماية
...بين وامريكي... واتهم من الاستغلال، وبناء اوطانهم على وفق تقاليدهم وقيمهم العربية الاسلامية،
...ة[٧]. ...شكل اعمالاً (معادية) للغرب ومصالحه الحيوية، وان الهدف الاساسي من هذه
...كي الذي تق... الوجهات) هو (الصراع) مع الغرب. فقد حاول الاعلام الامريكي المتصهين الدمج
...ي تنعته بابش... صورة العربي وصورة المسلم، وارادت من خلال ذلك تشويه تلك الصورة بغية
...جتمع ما بحس... اهداف اولئك الذين يريدون للعلاقة الامريكية العربية ان تبقى في تشنج دئام.
...ة مقياس الح... ان هناك من الباحثين الامريكيين ومن بينهم ماثيو Matheu فقد لاحظ ان العرب
...على الانسان ...مهاتون في الصحافة الامريكية وهناك دمج واضح بين الاسلام والغرب.
...أ الى الوس... الامريكي لا يميز بين عربي وتركي وايراني فالكل عنده واحد[١٠].
...من المعلوم... لا بل ان وسائل الاعلام الامريكية التجأت الى اسلوب الكارتون السياسي الذي
...، هربرت ش... مادة اعلامية ثابتة في كل وسائل الاعلام، وهو عبارة عن رسم او شكل فني
...ل منذ مولده... مرافقاً لافتتاحيات الصحف ومعبراً عن محتواها في الغالب، ويهدف الى تشويه
...وهذا يكون ع... شخص او فكرة او امة او موقف عن طريق السخرية والنقد واظهار العيوب
...الامور المحي... في تصوير الملامح. ومن خلال هذا الكارتون السياسي تشوه صورة العربي.

...لاع علي عبد الحسن رزق، صورة العرب في الاعلام الامريكي، خطوة نحو التغيير ام مراعاة، بحث
...ر في كتاب العلاقات العربية-الامريكية، اعمال مؤتمر العلاقات العربية-الامريكية، عمان، الجامعة
...، العدد ١٠٥، ... ٢٠٠١، ص٢٨٤.
...المصدر نفسه، ص٢٨٥؛ وللمزيد من الاطلاع عن كيفية تسخير الاعلام لخدمة مصالح السياسة الامريكية
...ستقبل العربي، ... القائمة على الارهاب، اضافة الى ما تقوم به الاستخبارات من دور في ذلك ينظر حسين سعيد،
...الاخلاق: نماذج من اغراقات الاعلام الامريكي والبريطاني خلال الحرب على العراق، مجلة المستقبل
...لعربي، بيروت، ... العدد ٣٢٥ (٣)، ٢٠٠٦، ص ص ٦٤-٨٣.
...لاع على المصدر نفسه، ص٢٨٨.

فصحيفة The Sun التي يمتلكها امبراطور الصحافة اليهودية روبرت مردوخ تقدم في كل عدد من اعدادها صور كارتونية عن العرب التي توصفهم (بالخنازير)، وكذلك السخرية مما جاء في القرآن الكريم، وكذلك الحال في صفحات كريستيان سايانس ومنتير، ونيوزويك، وغيرها من الصحف الامريكية والغربية[١١].

وتشير اغلب الدراسيات الى ان هناك اسباب كثيرة كرست في العقل الامريكي كراهية العرب، وزرعت في ذلك العقل صورة سلبية عن العرب، اصبحت مع مرور الزمن من المسلمات التي يؤمن بها دون ان يناقشها، ويدافع عنها دون ان يخضعها للتحليل او الدراسة. واذا كانت هذه الدوافع تكمن في موروث الصراع التاريخي القديم بين الغرب والعرب الذي جرى نبشه من جديد، والغزوات الثقافية الغربية للعالم العربي، وبروز عناصر الصراع الحاد بين العرب والغرب بعد زرع الكيان الصهيوني على ارض فلسطين، فان لهذه الكراهية ولهذا التشويه من صلة كبيرة لما تقوم به الحركة الصهيونية من انشطة واسعة التي لعبت على عدة اوتار منها تكريس عقدة الشعور بالذنب ازاء (الاضطهاد اليهودي) في الغرب، وتصوير استعمار ارض فلسطين على انه عمار لاراض مهجورة غير مستغلة، للربط بين احتلالهم لفلسطين والغزو الامريكي للهنود الحمر، واستعمار ارضهم باسم الريادة والاعمار. وساعد العديد من الوسائل اللا اخلاقية في ايجاد الجو المعادي للعرب وتشويه صورة الانسان العربي بصيغ تزداد او تخف، تتنوع او تتركز حسب الفترة السياسية السائدة. لا سيما انها انتشرت حتى في السينما الامريكية، حيث انتجت العديد من الافلام الامريكية وبتمويل صهيوني لتشويه صورة العربي المسلم. لقد اتسمت عملية التشويه بالاستمرار والتوسع المستمر، والتنوع لتناسب المناخ النفسي والسياسي السائد الذي اسهمت الصهيونية في خلقه لاغراضها السياسية المحددة[١٢]. وهكذا بقيت صورة العربي مقترنة في كل العقود الماضية، ولاسيما بعد انشاء الكيان الصهيوني وحروبه العدوانية ضد الامة العربية، بكل مظاهر التشويه: من الارهابي القاتل، والمختطف للطائرات والرهائن، الى المتخلف الذي يعيش عالة على عصر التكنولوجيا، وصاحب الزوجات الى اخر القائمة من الصور المنمطة التي تطعن في عقيدته وتراثه وتاريخه وحاضره حتى وصل الامر بان هناك مراكز ابحاث اضطلعت بهذه المهمة لاهداف سياسية بحتة كمل حصل بعد ١١ ايلول. حيث لعب الاعلام الصهيوني (الامريكي) دوراً كبيراً لما يحتله من تأثير في مراكز صنع القرار السياسي وتشكيل الرأي العام وفق الصورة التي

---

(11) ابراهيم احمد ابو عرقوب، صورة العربي في الكرتون السياسي الامريكي، بحث منشور في كتاب العلاقات العربية-الامريكية، الجامعة الاردنية، ٢٠٠١، ص٣١-٣٣.

(12) عبد الرحمن بن عبد اللطيف العصيل، صورة العرب عند الامريكان، بحث منشور في كتاب العلاقات العربية-الامريكية، الجامعة الاردنية، عمان، ٢٠٠١، ص ٥٧٣. وينظر كذلك، الهان كلاب البساط، صورة العرب في السينما الامريكية، منشور في الكتاب نفسه، ص ٢٤٩.

رسمها حتى عن العربي الامريكي واسهم بقدر كبير في تثبيت هذه الصورة (الارهابية، العنيفة) والترويج لها وتحويلها الى ما يشبه الحقيقية في عقل الغربيين، بل اضاف اليها ان العربي المسلم يسعى دائماً الى نفي الاخر باي وسيلة، حتى وان كانت عن طريق (العمليات الانتحارية).

الخطاب السياسي الامريكي بعد ١١ سبتمبر

وقد جاء الحادي عشر من ايلول-سبتمبر ٢٠٠١ لكي يحدث نقلة نوعية في شكل صورة العرب امام غيرهم بحيث تتجاوز مرحلة التشويه الى احتمالات الاقصاء. فقد انطلق فكر الصراع من جديد وبعثت افكار جاءت من عصور سحيقة لكي تصطنع عدواً وهمياً مع الاسلام باعتباره، وكما صوره في وسائل الاعلام، مصدر (الارهاب) في محاولة متعمدة لخلط الاوراق واحداث نوع من عمى الالوان على الساحة الدولية وتطبيق سياسة الكيل بمكيالين وازدواج المعايير التي تجاوزت الاطر الجغرافية لتدخل مرحلة المعتقدات الفكرية لتقسيم العالم على وفق اطر جديدة تضع الاسلام في جانب وكل العالم في جانب اخر. وقد اصبح العربي (المنبوذ المطارد في الغرب) المهان في الحضارات، والمحاصر بالشك والكراهية في مكان عمله وكليته، حتى ان الكراهية ضد الاسلام وصلت الى ان تقوم الاكاديمية السويدية في ان تمنح جائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٠٢ وفي هذه الظروف الحساسة الى اديب من ترينداد عرف دائماً بالهجوم على الاسلام والسخرية من حضارته وتحميله (الاثام الكبرى)، كما يضعه جنباً الى جنب مع الحضارة الاستعمارية بكل خطاياها واوزارها[١٣].

وفي الواقع، فانه على الرغم من ان الخطاب السياسي الامريكي الرسمي قد فرق بين الاسلام والتطرف، الا انه لم يتمالك نفسه نتيجة للوعي المغروس مسبقاً من قبل (الحملة الصليبية) في المعركة القادمة ضد الارهاب. وهو الامر الذي يذكر العرب المسلمين بالحرب التي اندلعت بين الغرب والاسلام في اطار (صراع الحضارات) وهي الرؤية المشتركة التي اعادت احياءها ولاسيما عبارة (حدود الدم تحوم العالم الاسلامي)، وهي العبارة المشهورة التي اطلقها صموئيل هنتغتون التي اصبحت من اكثر العبارات تحديداً في وسائل الاعلام، والخطاب السياسي الاستراتيجي الغربي-الامريكي، حتى ان رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني قد اعلن صراحة عن تفوق الحضارة العربية على الحضارة الاسلامية. الا ان الرسالة الاوضح التي انبعثت من غابر مانهاتن فهي التي تلفظ بها هوبير فيدرين وزير خارجية فرنسا

---

[١٣] نقلاً عن مصطفى الفقي، صورة العربي في مرآة الآخر، صحيفة الاتحاد الاماراتية، العدد ٩٦٧٢، الجمعة، ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١، ص٣١.

السابق عندما قال: لا يمكن محاربة الارهاب بالعمليات العسكرية والامنية، ولك بالعدالة[١٤].

لكن المشكلة تكمن هنا في انتشار العدواة تجاه الاسلام لدى الرأي العام الامريكي وقد تستغل هذه العدواة لتوجيه سلوك اهل القرار ومبادراتهم. وان القرار السياسي في الانظ التعددية ليس مجرد انعكاس لقرار رئيس الدولة وانما محصلة لموازين القوى داخ المؤسسات التي تعكس الى حد ما توجهات المجتمع. ففي النظام السياسي الامريكي والذ يعتمد على الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، نجد احياناً تبايناً بين موقف الاد الرئاسية من جهة وبين الكونغرس من جهة ثانية. ونجد ان وزارة الخارجية تتأثر بقدر اك بالعلاقات الدبلوماسية مع الدول الاخرى وخصوصاً العربية منها. وفي الوقت نفسه تتم الادارة الرئاسية باستقلالية نسبية تجاه السلطة التشريعية والرأي العام، في حين ان النو والشيوخ يعكسون مباشرة مواقف الناخبين وجماعات الضغط (اللوبي) الاقتصادية والثقافي واللوبيات اليهودية. والجدير بالذكر ان الكونغرس يظل اقل اكتراثاً لاعتبارات الاستراتيج ويظل اكثر اهتماماً بالمواقف (المبدئية) وذات المغزى (السياسي)، (الايديولوجي). وهذ يعني انه بالضرورة اكثر تطرفاً من الادارة الرئاسية، فهو قبل كل شيء انعكاس لموا القوى الداخلية[١٥].

وهذه العداوة التي انغرست في وعي الرأي العام الامريكي لم تؤد الى ظ خطاب سياسي جديد، على مستوى السلطة وصناع القرار، وعلى مستوى المثق والمفكرين، وانما موقف (قانوني) اخذ يتبلور لدى هيئة المحلفين في المحاكم الامري ولاسيما في القضايا التي يكون فيها العرب المسلمين اطرافاً. اذ يشير وليم غلابر في مقالته المنشورة في صحيفة نيوزويك تايمز بتاريخ ٣ اكتوبر ٢٠٠١ (الامريك العرب يرون المخاطر في المحاكم)، الى انه في قطاعات عدة، حتى في المح سارع المسلمون والمنحدرون من اصل عربي الى تسوية قضاياهم القانونية خ المحكمة باقل مما كانوا موعودين به او الى المطالبة بتأجيل الدعاوى، تخوفاً من الكثير من المحلفين وبعض القضاة سوف يكونون في مثل هذه الاجواء المشح بالكراهية والعنصرية، منحازين ضدهم ومجحفين بحقهم. وقد اكد ايضاً حسين ا المتحدث باسم اللجنة الامريكية العربية لمكافحة التمييز (ADC) قوله ان محامين اصل عربي، متخوفين من تأثير هذه الاجواء في القضاء ينصحون موكليهم بـ محامين اخرين)[١٦].

---

(14) غسان العزي، ١١ ايلول ٢٠٠١ والنظام الدولي تغيرات مفهومية محتملة، مجلة شؤون الاوسط ١٠٥، شتاء ٢٠٠٢، ص ٧٦-٧٧.

(15) فؤاد نهرا، متغيرات السياسة الامريكية ازاء العرب، مجلة شؤون الاوسط العدد ١٠٥ شتاء ٢ ص٧٦-٧٧.

(16) غسان غصن، الاستشراق الامريكي: العرب والمسلمون عرق ارهابي، مجلة شؤون الاوسط، العد شتاء ٢٠٠٢، ص٨٩.

فان الخوف وجنون الارتياب (PARANOIA) اللذين يثيرهما (الارهابي) مستوردات تقريباً على الولايات المتحدة، يغذيها المحافظون المحدثون من صهيونيين ومتصهينين في الادارة الامريكية ومجلس الشيوخ والنواب، ومراكز الابحاث والدراسات (المسماة "خزانات" الفكر) ووسائل اعلام الاتجاه السائد، والمجمع الصناعي-العسكري او محور الشركات العملاقة والقادة العسكريين، الى جانب بضع مئات من جماعات الضغط (اللوبيات) او المراوغة اليهودية الفائقة القوة والنفوذ، والقنات العديدة الواقعة تحت تأثيرها او الساعةي لاسترضاءها. والذعر الاكبر اليوم يشبه كتب المعلق غراغ دين شاميتز من مؤسسة (بوك هاوس) عن فيلم (الحصار) قبل ثلاث سنوات؛ ان (الامريكيين من اصل عربي) هم المجموعة (الاكثر) تعرضاً في امريكا لخطر السوق كالقطعان الى معكرات الاعتقال بسبب هوس معاداة الارهاب، يشبه حدث مع الامريكيين من اصل ياباني ابان الحرب العالمية الثانية[١٧].

ومن الذين رصدوا اتجاهات وسائل الاعلام الامريكية بعد هجمات ١١ ايلول، قد لاحظوا بان الامريكيين الصهاينة والمتصهينين كانوا اشد المحرضين على الارهاب من الاسلام وكراهية المسلمين والعرب (الارهابيين). وقد صرح مالكولم هونلاين الكاتب التنفيذي لرئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الرئيسية، (ان اليهود بدأوا يكتشفون ان منظمات عديدة تزعم انها في موقع قيادي، في الجالية المسلمة، مرتبطة بدعم منظمات ارهابية، او ترفض ادانة التفجيرات الانتحارية ضد الاسرائيليين)[١٨].

وعلى الرغم من ان التفجيرات التي استهدفت مركز التجارة العالمي شباط ١٩٩٣ والمبنى الفيدرالي في اوكلاهوما سيتي عام ١٩٩٥، لم يتورط فيها أي عربي مسلم وكما كشفت عنها التحقيقات الجنائية التي نشرت تقاريرها عن قيام امريكيين بهذه العمليات وتمت محاكمتكم وادانتهم، الا ان وسائل الاعلام الامريكية اخذت في التركيز على ربط الاسلام والمسلمين والعرب بـــ(الارهاب)، ورسخته في اذهان معظم الامريكيين محذرة من مخاطر (شبكة دولية) جديدة التسنيق والتنظيم مكونة من مجموعات (الارهاب الاسلامي). ومن ابرز الامثلة على ذلك الفيلم الوثائقي: الجهاد في امريكا (Jinhad in America) الذي اعده اليهودي الصهيوني ستيفن امرسون بالتعاون مع صديق له لا يقل عنه صهيونية وعصنرية هو الاستاذ الجامعي المعروف دانيال بايبس (Pipes) وساعده ايضاً فؤاد عجمي وخالد دوران الذي الف كتاب عن الاسلام اصدرته احدى كبريات المنظمات الصهيونية واقواها (اللجنة الامريكية اليهودية). وقد كتب فؤاد عجمي مقالات في صحافة اليمين المتطرف ومن بينها وول

---

[١٧] المصدر نفسه، ص٩٠.
[١٨] نقلا عن المصدر نفسه، ص٩٩.

ستريت جورنال بتاريخ ١٦ اكتوبر ٢٠٠١ قال فيه (ليس للعرب احد يلومونه انفسهم)، ويضيف (ان ما من حملة عسكرية لقوة اجنبية تستطيع اعطاء عرب العصر مخرجاً من الزقاق القاسي والاعمى لتاريخهم)[١٩].

واكد الباحث ريتشارد بولياث المتخصص في الشؤون الاسلامية والعربية، الامريكيين كانوا مستعدين جداً لتقبل الفكرة القائلة ان اعمال العنف التي ارتكبها بعض المسلمين (مماثلة لثقافة متعصبة وارهابية، من غير الممكن التسامح او التفاهم معها في توطئة كتاب من تحريره صدر عن معهد الشرق الاوسط في جامعة كولومبيا عام ١٩٩٤ تحت عنوان: تحت الحصار، الاسلام والديمقراطية Under siege: Islam and Democracy عن (خشيته من ان الولايات المتحدة ربما تشهد في الوقت الحاضر نمو نوع جديد من معاداة السامية، قائم لا على نظريات العرق السامي وانما على الاسلام). ويضيف بولياث بانه (لسوف نصل في وقت ما الى عتبة عدم حمل الناس الى الى ادلة لتصديق ان أي خطر ارهابي هو من متطرفين دينيين مسلمين)[٢٠].

ويبدو ان هناك عدد من المفكرين السياسيين، والذين يضطلعون في رسم السياسة العامة للولايات المتحدة متفقون على استمرار تصوير الاسلام كمصدر للتهديد والخطر، ويجري تكثيف هذه الصورة الى درجة ان الاسلام يعني بالنسبة لهم (نبذ الحضارة)، وانه معاد للانسان والديمقراطية وللسامية وللعقلانية. وفي عام ١٩٨٠ قام الاستاذ ادوراد سعيد قد سلط الضوء على هذه النقطة من خلال المقال الذي نشره في مجلة The Nation ذي نايشن في ٢٦ مارس ١٩٨٠ تحت عنوان: (الاسلام من خلال الاعين الغربية) واعادت المجلة نشره على موقعها في ٢٩ اكتوبر ٢٠٠١. كما ان ادوارد سعيد قد اكد ايضاً في مقال نشر في ذي نيوستايتسمن، لندن بتاريخ ٨ اكتوبر ٢٠٠١ تحت عنوان: (كلنا نسبح معاً)، على ان النموذج الاساس لفكرة (الغرب في مواجهة)، او ضد بقية العالم مستمر بعزم وعناد؛ وكثيراً ما يكون (غالباً وضمنياً)، حيث حول (الهجوم الانتحاري المريع) و(القتل الجماعي)، اللذان قامت بهما في ١١ ايلول ٢٠٠١ مجموعة صغيرة من (المتحررين المختلي العقل) الى اثبات لفرضية هنتغتون. ويضيف سعيد في في مقالته الى القول (ان المياه التي نسبح فيها كلنا هي "جزء من محيط التاريخ"، ولذا فان أي محاولة لشقها، او فصل بعضها عن الآخر بحواجز، سوف تنوء حتماً بالفشل)[٢١].

---

(19) المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.
(20) نقلاً عن المصدر نفسه، ص١٠٠.
(21) نقلاً عن المصدر نفسه، ص١٠٢.

الاصلاح السياسي في المجتمع المصري
دراسة لموقف عينة من مثقفي المعارضة

الدكتور
ماهر عبد العال الضبع(*)

تمهيد

يمكن للمتتبع لتاريخ برامج الإصلاح ـ على تنوعها ـ ان يعود إلي بداية مصر الحديثة , فمع تولي محمد علي حكم مصر (١٨٠٥) يمكن تلمس بداية مشروعات الإصلاح , وما بين الوالي الألباني حتي يومنا هذا , حقب كثيرة , عرفت فيها الدولة في مصر الكثير من برامج الإصلاح .

البداية كانت مع المشروع الكبير لمحمد علي , الذي طمح آنذاك في تأسيس دولة قوية , وتضمن هذا المشروع الإصلاحي أبعادا اقتصادية وسياسية عسكرية وثقافية , وفرض كل بعد من هذه الأبعاد أن يصك الوالي تصورات اقتصادية وسياسية وثقافية , وكان المحصلة أن تحول في النهاية إلي أن يصبح الصانع والزارع والمالك الوحيد .

ومع ثورة يوليو (١٩٥٢) طرحت الثورة مشروعا للإصلاح , تضمن هو الآخر أبعادا مختلفة , بعضها اقتصادي والآخر سياسي , وجسد ميثاق الثورة , ثم حركة الإصلاح الزراعي والتأميمات , الجانب التطبيقي لمشروع الإصلاح .

وما أن أطلت علينا حقبة السبعينيات , حتي بدأت الدولة بطرح مشروع جديدا للإصلاح , وكان للمشروع ـ شأنه في ذلك شأن غيره مما سبقه ـ أبعاده الاقتصادية والسياسية , فكان الانفتاح الاقتصادي , ثم السماح بعود الأحزاب السياسية .

وأخيرا ومنذ بداية الثمانينات والدولة في مصر ترسي دعائم مشروعا كبيرا , بدأ اقتصاديا ببرامج التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي ثم التخصيصية , وانتهي بما طرحه الحزب الحاكم في مؤتمره الثالث (سبتمبر ٢٠٠٤) تحت مسمي برنامج الإصلاح السياسي في مصر .

والملاحظة الهامة علي هذا التاريخ الذي مرت به فكرة برنامج الإصلاح , تلك التي تتعلق بموقف القوي الموجودة علي الساحة المجتمعية , التي تصاغ عليها برامج الإصلاح تلك , وخاصة المثقفين .

فقد كان للمثقفين من ناحية , وللدولة نفسها من ناحية أخري , موقف من برامج الإصلاح المطروحة . فمحمد علي , علي سبيل المثال , ضمن في بداية سعيه إلي الحكم , دعم رجال الدين , وهم الفئة المثقفة في ذلك الوقت , حتي إذا ما وصل إلي سدة الحكم , حجم من قواهم , وقلص

(*) استاذ في قسم علم الاجتماع–جامعة المنوفية–مصر